اسم الدرس : وقفات مع سورة الجمعة

تصنيف الدرس : خطبة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، تركنا على المحجة البيضاء، ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ".

أما بعد -أحبتي في الله-، فمن رحمة الله عز وجل بعباده أنه لم يتركهم سدى، ولكن بعد أن خلقهم أراد أن يرحمهم -سبحانه وتعالى-، فأنزل إليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل؛ حتى يكونوا على بينة من أمرهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد مجيء الرسل، وإنزال الكتب.

خلقنا الله عز وجل لأمر جلل، قال ربنا سبحانه وتعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"

قامت السماوات والأرض لهذا الأمر، خلقنا الله عز وجل وخلق الخلق ليعْرِفوه وليوحدوه وليعبدوه وحده سبحانه وتعالى، لكن ينشغل كثير من الناس عن هذه الحقائق بجزئيات صغيرة في هذه الدنيا.. ينسون أن لهذا الكون ربًا خالقًا مدبرًا رازقًا سبحانه وتعالى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، خلق السماوات باتساعها، وخلق الأرض بجبالها، وخلق الأنهار والمحيطات، ورزق المخلوقات، كل هذا سخره للإنسان ليعبده وحده سبحانه وتعالى، ليفرده بالطاعة، ليتحاكم إلى شرعه لا ليبتعد عنه.

ينسى الناس هذه الحقائق، فينزل القرآن ويتكرر نزوله ليذكرنا بهذه الحقائق؛

أن الكون كله مخلوق لله عز وجل،

وأن المخلوقات كلها خُلقتْ بأمره سبحانه وتعالى،

وأنه عز وجل خلق الناس ليوحدوه وليعبدوه..

تنزل السور تباعًا تُكرر هذه الحقائق حتى لا ننشغل بالجزئيات وننسى هذه الأصول وهذه الحقائق.

من هذه السور القرآنية التي تبين لنا هذه الحقائق، والتي تذكرنا بأصل وجودنا وبالغرض من وجودنا، وتذكرنا وتهددنا أن الله عز وجل أراد منا أوامر وأشياء، فإذا لم نفعل هذه الأشياء استبدلنا الله عز وجل، وأتى بقوم آخرين، فإن الله عز وجل لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى في الأرض ولا في السماء.

من هذه السور العظيمة: **سورة الجمعة**

هذه السورة التي كان يكرر النبي -صلى الله عليه وسلم- قراءتها في صلاة الجمعة، فكان أحيانًا -صلى الله عليه وسلم- يقرأ سورة الجمعة في الركعة الأولى من صلاة الجمعة، وفي الركعة الثانية يقرأ سورة المنافقون[1] كما روى الإمام مسلم في صحيحه.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يذكر المسلمين دائمًا بأغراض هذه السورة، وبما يريده الله عز وجل منا في هذه السورة.

هذه السورة العظيمة التي بدأت بحقيقة قد يتناساها البعض، بل قد ينشغل عنها البعض بهذه الدنيا، وهي: **أن الكون كله يسبح بحمد ربنا سبحانه وتعالى.**

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" [الجمعة:١]

الكل يسبح بحمده سبحانه وتعالى، هو الملك سبحانه وتعالى، يملك كل شيء، هذه المملوكات له سبحانه وتعالى، ونحن ملك له سبحانه وتعالى.

فإذا أصابتك مصيبة تذكرت هذه الحقيقة وقلت: إنّا لله، إنّا ملك لله، يفعل بنا ما يشاء بحكمته وبلطفه وبرحمته سبحانه وتعالى.

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ"

هو سبحانه خلق السموات وخلق الأرض، والكون كله يسبح بحمده، الكون باتساعه والمخلوقات بكثرتها تسبح بحمده سبحانه وتعالى!

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ"

بصيغة المضارع، لا يتوقف الكون لحظة عن تسبيحه،

---

[1] [عن عبدالله بن عباس:] أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلاةِ الفَجْرِ، يَومَ الجُمُعَةِ: الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَهلْ أَتى على الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، **وَأَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَقْرَأُ فِي صَلاةِ الجُمُعَةِ سُورَةَ الجُمُعَةِ، والْمُنافِقِينَ.**
مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٨٧٩ • [صحيح]]

لا تتوقف الملائكة لحظة عن تسبيحه وعن السجود له وعن تعظيمه،

يسبحون بحمده سبحانه وتعالى ويستغفرون لمن في الأرض،

يسبحون بحمده سبحانه وتعالى ويقدسون له ويقدسون أنفسهم له،

فقالوا:

"وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" [البقرة:٣٠] ، " يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ" [الأنبياء:٢٠]

يسبحون بحمده سبحانه وتعالى.

فبدأت السورة بهذه الصورة العظيمة في الكون حتى تستحضر هذا المشهد ولا تنساه!

لا تنسى أنك مخلوق من المخلوقات، والكون كله يسبح بحمد الله..

وأنت تسير في حياتك الدنيا،

وأنت تذهب للتجارة للبيع وللشراء،

وأنت في حياتك،

تذكر أن الكون كله يسبح بحمده سبحانه وتعالى!

لا يتوقف، ولا يفتر، ولا يمل، ولا يستحسر، ولا يتعب..

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ"

سبحانه وتعالى هو قدوس، منزه عن كل نقص؛

ولهذا يجب علينا أن ننزهه سبحانه وتعالى عن كل نقص، وأن ننزه أنفسنا له، وأن نزكي أنفسنا له، وأن نطهر أنفسنا له، سبحانه وتعالى؛ حتى تكون أنفسنا خالصة له سبحانه وتعالى،

فالله طيب ولا يقبل إلا طيبًا[٢]

فلنجعل أنفسنا طيبة، ونقدمها خالصة لله سبحانه وتعالى..!

كذلك قالت الملائكة من قبل: "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"

" وَنُقَدِّسُ لَكَ"

إما معناها: ونسبحك ونقدسك،

أو نقدس أنفسنا، أي: نطهر أنفسنا مما فيها من عيوب

[٢] عن أبي هريرة: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا.. "
مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٠١٥ [صحيح]

" وَنُقَدِّسُ لَكَ"

هو سبحانه؛ "الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"

هذا الملِك العظيم، الإله العظيم، القدوس العزيز الحكيم،

الذي يملك كل شيء، هو غني عن عباده، غني عن طاعتهم، غني عن سجودهم، غني عن تسبيحهم،

فالكون كله يُسبح بحمده، ولكن بحكمة منه سبحانه وتعالى اصطفى الإنسان وعرض عليه الأمانة!

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ .." [الأحزاب:٧٢]

أبت السماوات والأرض والجبال، ولكن كان هذا الإباء إباء شفقة وخوف،

ليس كإباء إبليس، أبى واستكبر، فالسماوات والأرض والجبال أبينَ وأشفقن

"فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [الأحزاب:٧٢]

حملها الإنسان، حمل الأمانة.

والأمانة هي القيام بالتكاليف على **وجه الاختيار**، إن الإنسان يقوم بالتكاليف، ويطبق مراد الله عز وجل في الأرض..

إذًا، مراد الله **في السماء**: تطبقه **الملائكة**،

ومراد الله **في الأرض**: اصطفى الله عز وجل **الإنسان** ليقوم بهذه الوظيفة؛

لينازع الشيطان، وينازع الأهواء، وينازع نفسه، وينازع أهل الباطل، حتى يقيم شرع الله عز وجل في الأرض.

الكون يسبح باستمرار..

أراد الله عز وجل أن يشارك الإنسان هذه المخلوقات، ولا يكون نشازًا في الكون،

أراد الله عز وجل أن يكون الإنسان مشاركًا في التسبيح، فأرسل إليه رسولًا يعلمه كيف يشارك الكون في التسبيح..

فالآية التي بعد: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ" [الجمعة:٢]

"هُوَ"

أي الملك

"الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ"

لماذا بعث رسولًا؟

حتى يُعلم الناس كيف يسايروا الكون في التسبيح، كيف يطيعوا الله عز وجل،

فلابد من رسول، ولابد من وحي، ولابد من رسالة.

كيف يطيع الإنسان ربه؟

لا يعلم؛ لذلك لابد من وحي.

الإنسان لا يعبد الله بإرادته، ولا بهواه، ولا بعقله، ولا بنفسه، ولا باختياراته، إنما بوحي من الله،

فاصطفى الله عز وجل الإنسان، وأرسل إليه رسولًا يُخرجه من الظلمات إلى النور

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ"

البعث: الإحياء؛

فالناس بدون وحي موتى،

الناس بدون قرآن أموات!

" أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا" [الأنعام:١٢٢]

"أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ.."

-أي بالقرآن-

"وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا.."

أي بالقرآن

"يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ.."

أي بالقرآن

"كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا.."

أي ميت وفي الظلمات بدون قرآن

"كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا"

بدون قرآن لن نخرج من الظلمات.

أراد الله عز وجل أن يشارك الناسُ الكونَ في التسبيح، فأرسل إليهم رسولًا..!

حينما تنظر إلى بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– **هذه النظرة؛** تعلمُ قيمة الوحي، قيمة القرآن، قيمة السنة.

إن القرآن قد نزل بالوحي،

والسُنّة جاء بها النبي –صلى الله عليه وسلم– بأمر من الله عز وجل، وبوحي من الله عز وجل

لماذا؟

ليشارك الناس الكونَ في التسبيح!

أنت تشارك الكون في هذه المنظومة..

الكون كله يسبح، الكون كله طائع،

فأراد الله عز وجل أن تشارك الكون في التسبيح؛ فأرسل لك رسولًا!

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ"

بداخلهم، واحدًا منهم، يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون

"فِي الأُمِّيِّينَ"

كانوا لا يقرأون ولا يكتبون

فالناس بدون قرآن هم أميون، الناس بدون وحي هم أميون،

فالأمية الحقيقية هي الجهل بكتاب الله عز وجل!

حينما يقال فلان عالم؛ الله عز وجل كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–:

" إنَّ اللهَ تعالى يُبغِضُ كلَّ عالِمٍ بالدنْيا، جاهِلٍ بالآخِرَةِ"[٣]

البغض هنا للجمع بين الاثنين، أي ليس كل عالِم يبغضه الله،

ليس كل عالم بالدنيا يبغضه الله،

لا..

[٣] الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ١٨٧٩ • صحيح

الذي يجمع بين أدوات التعلم، لديه قدرة التعلم، وبذل وقتًا للتعلم،

ثم أنفق كل هذا الوقت في الدنيا فقط، وأعرض عن الآخرة؛ يبغضه الله عز وجل!

لأنه كان بمقدوره التعلم، أعطاه الله الأدوات والقدرات والإمكانيات،

ليتعلم الدين، ليتعلم الوحي، ليخرج من الظلمات، ويُخرج الناس من الظلمات إلى النور،

وأعرض عن كل هذا!

فيخبر الله عز وجل:

أنك بابتعادك عن القرآن تصر على المكث في هذه الأمية، وتصر على المكث في هذه الظلمات

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ"

وقيل أن الأميين هم العرب،

لم يكن لديهم كتاب، وكان أكثرهم لا يُحسن القراءة والكتابة، وفشى فيهم هذا العلم بعد نزول القرآن،

وبعد نزول أول كلمة: "اقرأ".

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ"

ماذا يفعل الرسول معهم؟ ماهي وظيفته؟

"يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ"

يُعرفهم ما هو مراد ربنا..

الكون يُسبح:

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ"

نريد أن نشارك الكون في الطاعة، سوف أعلمكم ماذا تفعلون؛ حتى تكونوا طائعين، حتى تكونوا مخلصين، خالصين لله عز وجل.

"يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ"

ثلاثة من وظائف النبوة ومن وظائف ورثة الأنبياء، وهم العلماء.

أن يتلوا على الناس القرآن:

" يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ"

لا بد أن يعرف الناس كلام الله عز وجل..

ألّا يكون كلام الله عز وجل مُهمَلًا، مُهَمشًا، أو يوضع على الجانب!

يجب ألّا يكون هناك بُعد وإصرار على المكث في الظلمات وهجر لكتاب الله عز وجل..

" يَتْلُو عَلَيْهِمْ"

على كل الناس

"آيَاتِهِ"

وبالتالي، عندما نقرأ القرآن أو يُتلى علينا، ماذا يحدث؟

"وَيُزَكِّيهِمْ"

يتطهرون من الدنس، ومن الظلم، ومن الجهل المستقر في النفوس.

"وَيُزَكِّيهِمْ"

الزكاة: الطهارة،

الإنسان يَطهُر باقترابه من القرآن!

فكما أن الله عزَّ وجل شرع الوضوء لتطهُر الأبدان، كذلك أنزل الوحي لتتطهر القلوب وتتطهر النفوس

"يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ"

كانوا قبل القرآن لا يعلمون شيئًا!

"وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا.. "

يقول الله عزَّ وجل للنبي صلى الله عليه وسلم،

" مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.."

لا تعرف معنى الإيمان، لا تعرف مراد الله عز وجل،

لا تعلم كيف تُخرج نفسك والناس من الظلمات إلى النور، لا تعلم!

"مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا"

وبعد نزول القرآن:

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" [الشورى:٥٢]

"يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"

قبل نزول القرآن كان الناس في ضلال مبين..

أفبعد أن أنزل الله تعالى القرآن وبشَّرنا بهذا اليوم وقال:

"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" [المائدة:٣]

الإسلام كاملًا..!

أفبعد أن أتمَّه الله نريدُ أن نُنقصه؟!

أفبعد أن رَضيَه الله لنا نريدُ أن نُسخطه؟!

أفبعد أن اختاره واصطفاه الله عزَّ وجل لنا نريدُ أن نهجره؟!

اصطفى الله عزَّ وجل لهذه الأمة القرآن، أعظم الكتب، أعظم الكلام، كلام الله سبحانه وتعالى،

أفنُعرض عنه؟!

أراد الله عزَّ وجل أن يُخرجنا وأن يبعثنا من الظلمات إلى النور،

أن نشارك الكون في التسبيح،

ألا نظل في ظلمات؛

فبعث لنا النبي صلى الله عليه وسلم برحمةٍ منه،

واصطفى هذه الأمة،

اصطفى العرب ليكونوا حَمَلة الرسالة، ومن غير العرب ليُشاركوهم في هذا الفضل..

كونك من العرب، وأنك تُحسن اللغة العربية، وتتكلم اللغة العربية، **كما أنه فضلٌ فهو تكليف** تُحاسَب عليه يوم القيامة!

نزل القرآن بلغة العرب، جنس العرب عمومًا أفضل، لكن هناك كثير من الأفراد غير العرب أفضل من كثيرٍ من العرب؛ ولذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما سنُخبر في الآيات التي تليها.

إذًا، كونك تتعلم أو تُحسن اللغة العربية أو تتكلم باللغة العربية هذا شرفٌ وهذا تكليف تُسأل عنه يوم القيامة..

نزل القرآن بهذه اللغة، واليوم يُعرِض كثيرٌ منَّا عن تعلُّم هذه اللغة،

بل يستنكف أن يتكلم اللغة العربية ويبتعد،

بل ويتشرف بالكلام بغير اللغة العربية، ويشعر بأن هذا فضل، وأنه كلما ابتعد عن اللغة العربية زاد فضلًا وشرفًا بين الناس!

لغة القرآن، لغة الهِداية التي لا بد أن نتعلمها حتى نَهدي الناس،

لغة القرآن، لغة السُنة، اللغة العربية.

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ" [الجمعة:٢]

"وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [الجمعة:٣]

"وَآخَرِينَ مِنْهُمْ"

أي: وآخرين من غير العرب،

منهم: أي أصبحوا منهم بالإسلام، فجمع بينهم الإسلام، فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى!

آخرين التحقوا بهم..

كيف التحقوا بهم؟

"يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.."

تعلموا القرآن، وزكّوا أنفسهم بكتاب الله، وطبقوا مراد الله عزَّ وجل، فالتحقوا بهم!

لذلك يقول الله عزَّ وجل:

"وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ.."

أي: لم يلحقوا، ولكنهم سوف يلحقوا بهم

أول ما نزلت هذه الآية سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: ما المراد بها؟

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على كتف سلمان الفارسي وقال:

" لو كانَ الإيمانُ عِنْدَ الثُّرَيّا، لَنالَهُ رِجالٌ – أوْ رَجُلٌ – مِن هَؤُلاءِ"[٤]

تخيّل أن هناك أناس من غير العرب سيبذلون مجهودًا لنصرة هذا الدين لا يعلمه إلا الله،

لم يقم بهذا المجهود –أو قد لا يقوم به– أحدٌ من العرب!

ويُبين النبي صلى الله عليه وسلم أنّ هناك رجال يبذلون أنفسهم، لو كان الإيمان في آخر الدنيا سيذهبون إليه، سيتعبون وسيبذلون مجهودًا كبيرًا ولن يتوقفوا حتى يصلوا إلى الإيمان، إلى مراد الله عز وجل.

---

[٤] [عن أبي هريرة:] كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فَأُنْزِلَتْ عليه سُورَةُ الجُمُعَةِ: {وَآخَرِينَ منهمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قالَ: قُلْتُ: مَن هُمْ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُراجِعْهُ حتَّى سَألَ ثَلاثًا، **وفينا سَلْمانُ الفارِسِيُّ، وضَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ على سَلْمانَ، ثُمَّ قالَ: لو كانَ الإيمانُ عِنْدَ الثُّرَيّا، لَنالَهُ رِجالٌ - أوْ رَجُلٌ - مِن هَؤُلاءِ.** حَدَّثَنَا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوَهّابِ، حَدَّثَنَا عبدُ العَزِيزِ، أخْبَرَنِي ثَوْرٌ، عن أبِي الغَيْثِ، عن أبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيِّ ﷺ: لَنالَهُ رِجالٌ مِن هَؤُلاءِ.

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٤٨٩٧ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٤٨٩٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٤٦)

الإيمان يكون بجانبنا، في مسجدٍ بجوارنا، ولا نتعلمه!

الإيمان يكون بجوارنا ولا نتكلف أن ننزل إليه، ولا أن نتعلم كتاب الله عزَّ وجل،

ونتعلل بأن الأمر صعب!

كلام الله عز وجل صعب!

لا نحفظ القرآن، ولا نتعلم اللغة، ولا نتعلم تفسير كتاب الله عزَّ وجل ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم!

لا نبذل في كل هذه الأشياء جهدًا يُذكر،

في حين أننا نبذل جهدًا كبيرًا في كثير من أعمال الدنيا،

ولا نبذل شيئًا في تعلّم كتاب الله عزَّ وجل!

في الإعراض عن تعلم كتاب الله عزَّ وجل وفي ذم ذلك نزلت هذه السورة؛

لتُبين خطورة الإعراض عن تعلُّم كتاب الله عزَّ وجل، وعن تدبره، وعن العمل بما فيه.

فيقول الله عزَّ وجل:

"وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ.."

لم يلحقوا بهم بعد لكنهم سيفعلوا.

تخيل يُعطيك الله عزَّ وجل فرصة اللحاق!

كيف نلحق بالصحابة؟

كان التابعون يضربون أنفسهم حتى يلحقوا!

يشد أحدهم {أبو مسلم الخولاني} على نفسه كي يلحق بالصحابة ويقول:

(أيظُن أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا؟

كلا والله! لنُزاحمنّهم عليه زحامًا –يقصد على النبي عند الحوض–)

يريد أن يلحق، يريد أن يلحق بالركب، يريد أن يلحق بصحابة النبي صلى الله عليه وسلم

يجب أن يكون لديك هَمٌّ أن تكون من السابقين، أن تكون مع السابقين الأولين، أن تكون في زُمرة الأولين يوم القيامة!

تنزل هذه السورة لتستخرج هذه الطاقات التي بداخلك،

أنت تستطيع أن تبحث عن الإيمان حتى لو كان في الثُريا،

أنت تستطيع أن تجاهد نفسك لتلحق بركْب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم!

"وَآخَرِينَ مِنهُم لَمّا يَلحَقوا بِهِم وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ* ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء.." [الجمعة:٣، ٤]

مَن الذي سوف يلحق بالصحابة؟

مَن الذي سوف يَبذُل؟

مَن الذي سوف يتعلم القرآن؟

مَن الذي سوف يجاهد وينصر هذا الدين؟

"ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [الجمعة:٤]

فضلُ رَبنا عظيم،

فضلُ رَبنا واسع..

كُل مَن أقبل بصدق وبعزيمة لتعلُّم كتاب الله ولنشر هذا الدين تقبله الله عزَّ وجل، وفتح الله عزَّ وجل عليه وألحقه بالصالحين

ومن دعاء الصالحين أن تدعو أن يُلحقك الله بهم: "وألحقني بالصالحين"

هذه السورة تُبين لك كيف تلحق بالصحابة..

كيف نلحق بالصحابة؟

كيف ندخل في زمرة الأولين السابقين؟

كيف نكون في زمرة الأوائل الذين يشربون من حوض النبي صلى الله عليه وسلم؟

سوف تُبيّن لنا هذه السورة ماذا نفعل حتى نلحق بصحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

بيَّن الله عزَّ وجل أنَّ المصيبة الأولى التي قد تُصيب أُمّة من الأُمَم هي:

الإعراض عن العمل بكتاب الله عزَّ وجل

فقال الله عزَّ وجل:

"مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [الجمعة:٥]

أنزلَ الله عليهم وحيًا كي يُسبّحوا مع الكون..

بدأت السورة: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ"، الكون يُسبّح..

فأراد الله أن نُشارك الكون في التسبيح،

فأنزل لنا وحيًا حتى نفتح الكتاب ونقرأ ما فيه ونتعلم ثم نعمل.

هناك أقوام بعد أن فتحوا الوحي وقرأوا ما فيه وعلموا ما فيه، أغلقوه وتركوه ولم يعملوا بشيء فيه،

ثم بحثوا عن قوانين غيره يتحاكمون إليها، وبحثوا عن كلام غيره..

يبحثون عن مبادئ غير القرآن، وعن حكم من غير القرآن، وعن قوانين من غير القرآن،

ابتعدوا عن كتاب الله؛ فشبّههم الله عزَّ وجل بالحمير.

"مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا"

ما المقصود بـ: "حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ" ؟

كُلّفوا العمل بها،

ما معنى "حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ"؟

أي: تعلّموها وفقهوا ما فيها

"ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا"

كيف؟

"ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا"

أي: لم يُطبقوها في حياتهم، لم ينشروها في دُنياهم، لم يُطبقوا شرع الله عزَّ وجل

اليهود فَهِموا مُراد الله، ثُمَّ حرَّفوا وبدَّلوا وغيَّروا، وانتقوا ما يناسبهم من كتاب الله عزَّ وجل

" أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ" [البقرة:٨٥]

"مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"

مشهد حِمار أعزَّكم الله، هذا المشهد بما فيه من بلادة وغباء

"يَحْمِلُ أَسْفَارًا"

لم يقُل يحمل كُتبًا..

السَفر: الكتاب العظيم الذي ينير للناس

الذي يُسفر هو الصُبح، الصباح عندما يخرج يُضيء؛ فلذلك نقول يُسفر الصباح،

فالسِّفر هو الذي يُضيء للنَّاس، الذي يُنير للنَّاس الحياة،

فالحمار يحمل على ظهره أسفارًا لو عمل بها -ولكنّه لا يفقه- لأَضاء للدنيا،
لأَضاء لنفسه ولأضاءَ الدنيا!
ولكنَّه اختار أن تكون على ظهره فقط..
هناك من النَّاس مَن اختار أن يحمل القرآن على ظهره فقط،
لا يتدبره، ولا يعمل بما فيه، ولا يُجاهد لتعلُّمه وتعليمه وللعمل به، ولنُصرة دينه،
هؤلاء سمَّاهُم الله عزَّ وجل بهذا المثل، وشبّههم الله بهذا المثل:

"مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا"
"حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ"
كُلّفوا العمل بها، تعلَّموا التوراة ثم بعد ذلك ماذا؟
"ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا"
لم يَحمِلوا أنفُسهم على تطبيقها، لم يُجاهدوا أنفُسهم على العمل بما فيها
" ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"

"بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ"
هُم يعلمون أنَّ هذا من عند الله، يعلمون مراد الله،

"وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"
هؤلاء الذين يمنعون دين الله عزَّ وجل ويحاربون دينه، غالبًا لا يُوفقون لهِداية؛
لأنَّهم حرموا أنفُسَهم وحرموا النَّاس،
ظلموا أنفُسَهم وظلموا النَّاس بإبعادهم عن كتاب الله عزَّ وجل.

عدم تطبيق التوراة كالتكذيب بالتوراة،
عدم تطبيق القرآن كالتكذيب بالقرآن،
أنزله الله ليكون واقعًا بين النَّاس فكان النبي صلى الله عليه وسلم خُلُقه القرآن،
كان قرآنًا يمشي، ليس مجرد قرآنٍ مكتوبٍ..
لابُد أن يتحول القرآن إلى واقع بين النَّاس،
ليس فقط مجرد كلام نتلوه في المساجد، ثم إذا خرجنا خارج المسجد لا نفعل شيئًا من القرآن!
هذا ما فعله اليهود، حصروا قراءة الوحي، حصروا قراءة التوراة في معابدهم ثم إذا خرجوا فعلوا ما يشاءون

في دنياهم، فكان داخل المعبد يقرأ التوراة، وخارج المعبد يفعل ما يناسب هواه، وما يناسب شهوته، وما يناسب أمواله ومصالحه،

فأخبر الله عزَّ وجل أنَّهم بذلك يُكذبون بشرع الله عزَّ وجل وأنَّهم:

"كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".

أعظم الظلم أن تبتعد عن القرآن وتُبعد النَّاس عنه،

أعظم ظلم تظلم به النَّاس أن تمنعهم عن تعلُّم كتاب الله عزَّ وجل..

لو منعت عنهم الطعام والشراب كُنتَ ظالمًا، ولكنَّك تكون أشدّ ظُلمًا إذا منعت عنهم القرآن!

الذي يمنع النَّاس من تعلُّم القرآن أشد ظُلمًا وإجرامًا وفُجرًا من الذي يمنع الطعام عن النَّاس،

إذا مُنع الطعام عن النَّاس اشتكوا وثاروا وهاجوا،

وإذا مُنع عنهم الوحي وكأنّه لم يحدث شيء؛

بالرغم من أن ظُلم النَّاس بإبعادهم عن كتاب الله عزَّ وجل أشد من الذي يحاول إطفاء الشمس،

أشد من الذي يريد أن يمنع عنهم الطعام والشراب.

وكذلك كان أحبار اليهود، يقرأون التوراة ويعلمون مراد الله، ثم يكذبون على الملوك،

يضحكون على الملوك حتى يكون الملوك تبعًا لهم،

ويمنعون النَّاس عن دين الله عز وجل ويأكلون بدينهم.. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّه" [التوبة:٣٤]

هو مُستفيد من هذه الوظيفة أنَّه تَبعًا لهذا الملك الظالم، يستفيد من هذه الوظيفة،

فهذا "كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".

يحذر الله عز وجل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أن تسير على نهج اليهود؛

فإنهم بعد أن اصطفاهم الله عز وجل على العالمين

"وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" [الدخان:٣٢]

بعد أن اصطفاهم الله عزوجل ليكونوا حملة التوراة؛

أعرضوا عن التوراة ولم يتدبروا ما فيها،

بل حتى الذين فقهوا ما فيها أعرضوا عن العمل بها،

فيحذّر الله عز وجل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يسيروا على هذا الدرب،

يحذرهم من البعد عن القرآن،

بل يحذرهم من البعد عن العمل بالقرآن!

أمة النبي صلى الله عليه وسلم لو قرأت القرآن، وفقهت القرآن، وتدبرت القرآن، ثم لم تعمل بالقرآن، لعوقبت ولشابهت الحمير كبني إسرائيل!

فليس بين الله عز وجل وبين أحد من عباده نسب

"لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ" [النساء:١٢٣]

ليس هناك نسب بين العباد وبين ربنا سبحانه وتعالى.

"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.."

لماذا خير أمة؟

ليس لأنكم عرب، ولا لحسن أشكالكم، ولكن

"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" [آل عمران:١١٠]

إذًا، **الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أسباب الخيرية؛**

ترك الإيمان، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترك تعلم كتاب الله عز وجل، ترك تطبيق كتاب الله عز وجل؛ يُنْزلنا من هذه المكانة ويبتعد بنا بعيدًا عن هذه الخيرية.

إذًا، اليهود أعرضوا عن مراد الله عز وجل، أعرضوا عن تطبيق شرع الله عز وجل؛

ما الذي جعلهم يفعلون هذا؟ وما الذي أبعدهم عن شرع الله؟

لأنهم يحبون الدنيا..

"بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [الأعلى:١٦، ١٧]

لذلك يقول الله عز وجل في الآية التي تليها:

"قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [الجمعة:٦]

"قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ"

لو أنتم تقولون: نحن أفضل ناس عند الله

"فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"

فالذي يكون صاحب أعمال طيبة، ويحسن في الطاعات، ويجتهد في مرضاة الله، لا يخاف الموت؛

بل يتمنى الموت!

يتمنى لحظة لقاء الله سبحانه وتعالى!

" تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ " [الأحزاب:٤٤]

لحظة اللقاء هذه يتمناها المؤمن وينتظرها ويفرح بها المؤمن..

لكنهم:

"وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين" [الجمعة:٧]

يعلمون أنهم ظلمة وفجرة، يعلمون أنهم أعرضوا عن كتاب الله عز وجل،

وظلموا أنفسهم وظلموا الناس بإبعادهم عن كتاب الله عز وجل.

"وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [الجمعة:٧، ٨]

ملخص الحضارة الغربية الآن أنها تفر من الموت؛

كل الاكتشافات التي يكتشفوها يريدون أن يفروا من الموت!

ولكن:

"فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ"

مهما كنتم، ولو كنتم في بروج مشيدة!

أينما اتجهت، ومهما اكتشفت، ومهما فعلت

"قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ"

فَرّوا من الموت، فأعرضوا عن كتاب الله عز وجل، فلاقاهم الموت وعاقبهم الله عز وجل!

أعرضوا عن تطبيق شرع الله لأنه يُؤْثر الدنيا، اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا،

كل من يؤثر الدنيا على الآخرة لابد أن يبتعد عن شرع الله عز وجل.

حينما يكون أمامك اختيارات؛ شيء حلال وشيء حرام،

فحينما تَعظم الدنيا في قلبك تختار الحرام،

وحينما تَعظم الآخرة في قلبك تختار الحلال،
حتى لو كان أقل في المال ولكنه أكثر بركة عند الله عز وجل..

حينما ننسى الآخرة "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [الأعلى:١٦، ١٧]
حينما ننسى الآخرة، نبتعد عن شرع الله عز وجل،
ونبتعد عن مراد الله عز وجل، وعن تطبيق شرع الله عز وجل في حياتنا وفي بيوتنا وفي دنيانا.

فأخبر الله عز وجل أن اليهود هم أحرص الناس على حياة:
"وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا" [البقرة:٩٦]
قال بعض المفسرين: أي أحرص على الدنيا من المشركين؛
المشرك الذى لا يؤمن بالبعث ولا يؤمن بالآخرة، اليهود أعظم حرصًا على الدنيا منه!
لذلك هم أعظم إجرامًا في تبديل وحي الله،
وأعظم فُجرًا في الإعراض عن مراد الله،
وأعظم جُرمًا في ابتعادهم عن تطبيق كتاب الله عز وجل؛
لأنهم يُؤثرون الدنيا.

فيخبرنا الله عز وجل: إذا سِرتم على هَدي اليهود سوف تؤثرون الدنيا، وتبتعدون عن كتاب الله،
وتبتعدون عن تطبيق مراد الله، ثم يلاقيكم الموت ولن تنفعكم الدنيا شيئًا
"قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ"
مشهد الفرار هذا، الفزع من الموت
"فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ"
ربنا يعلم كل شيء، كل شيء يعلمه الله عز وجل!
كل خاطرة،
كل كلمة،
كل فعل!
"ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ.."
ماذا؟
"فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ **تَعْمَلُونَ**"

ليس (تعلمون)..!
ستُحاسب على الأعمال، علمك وحده لا يغني، العلم وحده لا يُغني.

كان الأحبار يعلمون مراد الله عز وجل، لكن كانوا لا يطبقون، فشبههم الله بالحمير، فقال الله عز وجل "ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"

الّذين آمنوا، وعملُوا الصالحات..
دائمًا يقترن العمل مع الإيمان، لا بُدّ من أعمال صالحة، لابد أن نجاهد أنفسنا لنعمل الصالحات،
حتى لو خالفنا هوانا، ولو أعرضنا عن جزء من الدنيا حتى نرضي الله عز وجل.
أسأل الله عز وجل أن نكون من الخالصين المخلصين له، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

***

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم.

في هذه السورة العظيمة –سورة الجمعة–، يخبرنا الله عز وجل في بداية السورة أن الكون كله يسبح بحمده، ثم بعد ذلك يخبرنا كيف نشارك هذا الكون، كيف نشارك هذا الكون في التسبيح، فأرسل لنا رسولًا ليخرجنا من الظلمات إلى النور وأرسل معه الوحي.

ثم يخبرنا الله عز وجل أن هناك أناسًا أرسل الله عز وجل إليهم رسلًا، وأنزل إليهم كتبًا، ثم يعرضون عنها هذا الإعراض..
ولا يكون عن قلة فهم، ولكن كان بعد أن فهموا مراد الله فأعرضوا عنه،
بعد أن فقهوا مراد الله أعرضوا عنه، أي كان الإعراض **ليس سببه قلة الفهم**،
ولكن كان السبب الرئيسي: **حب الدنيا وكراهية الموت**.

هذا المرض إذا تجذر في أمةٍ؛ أصبحوا غثاء كغثاء السيل، ابتعدوا عن كتاب الله عز وجل وتفرقوا،
وكأن من أهم أسباب التجمع في سورة الجمعة التي يجتمع فيها الناس،
والتي اجتمع فيها خلق آدم،
واكتمل فيها خلق المخلوقات،
في يوم الجمعة التي خلق فيها آدم،

والذي أُخرج فيه من الجنة،

وفيه تقوم الساعة؛

هذا اليوم يخبرنا الله عز وجل **أن من أهم أسباب التجمع: العمل بكتاب الله،**

وأننا على قدر ترك العمل بكتاب الله على قدر التفرق بين المسلمين.

كل جزء من المسلمين، كل فرقة، كل طائفة، أخذت جزءًا من الدين وطبقته، وأعرضت عن الباقي!

هذا يؤدي إلى التفرق وإلى التشرذم ، "كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" [الروم:٣٢]

حينما يجتمع المسلمون على تطبيق شرع الله كافة، وعلى القرآن كافة، يوحد الله عز وجل قلوبهم على أتقى قلب رجل منهم "لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ" [الأنفال:٦٣]، فتأليف القلوب يكون بالالتزام بالعمل بكتاب الله عز وجل، على قدر الابتعاد عن تطبيق شرع الله؛ على قدر وجود فُرقة بين المسلمين.

ثم بعد ذلك يخبر الله عز وجل بعد أن بين لنا أن السبب الرئيسي في البعد عن تطبيق مراد الله هو حب الدنيا، يبين الله عز وجل كيف تتحول أمة مسلمة مطبقة للشرع إلى أمة تحرص على الدنيا، تركت كتاب الله عز وجل،

وأن بداية الانحراف تحدث بالتعارض بين أوقات الطاعة والدنيا؛ فقال الله عز وجل:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" [الجمعة:٩]

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"

ما علاقة هذه الآية بمسألة اليهود وأنهم مثل الحمار وإعراضهم عن التوراة؟

يبين الله عز وجل أن **أي أمة تحتاج إلى وقت للتذكرة بالله والتذكرة بالدار الآخرة**

أنت محتاج، وأنا محتاج، والمسلمين محتاجون للتذكرة

أي إنسان حتى تظل علاقته بالله يحتاج إلى تذكرة..

هذه التذكرة، لم يتركها الله عز وجل لنا اختيارًا،

لو تركت لنا اختيارًا لن يسمع الناس، ستكسل عن سماع التذكرة،

فقدر الله عز وجل لنا سماع خطبة الجمعة إجبارًا، ومن ترك ثلاث جمعات متتاليات طبع الله على قلبه[٥] -والعياذ بالله- كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

لماذا يطبع على قلبه؟

لأنه لم يعد يرى إخوانه في المسجد، لم يعد يسمع عن الله!

فحين تبتعد عن المسجد ثلاث جمعات متتاليات،

لا تسمع عن الله، لا تسمع عن الدار الآخرة، لا تشاهد الصالحين في المساجد،

يُطبع على القلب وتصبح مثل أمة اليهود الذين أعرضوا عن مراد الله.

إذًا، حتى تستمر هذه الأمة في سيرها وفي دربها تحتاج إلى شيئين:

-أن تجتمع،

-وأن تجتمع على ذكر الله

ولذلك بنيت المساجد، وجعلت حِلَق العلم (أي دروس العلم) ودروس الوعظ، وهذا أمر زائد،

فكلما أراد الإنسان أن يرتقي: يستمع أكثر، ويأتي إلى المسجد أكثر.

لكن، هناك حد أدنى لا يصح أن يقل المسلم عنه؛ ألا وهي **خطبة الجمعة**، فهي لازمة،

واستحب أهل العلم أن تكون خطبة الجمعة في المسجد الجامع -أكبر مسجد في البلاد-،

فكل الناس تجتمع فيه، ويختارون أفضل مَنْ يخطب ويتكلم ويذكِّر بالله وبالدار الآخرة، ويذكِّر بالمهمات التي تحدث وتجدّ، ويبين مراد الله..

هذا هو تصور الإسلام عن خطبة الجمعة،

يجب أن يلتقي الناس على الأقل مرة في الأسبوع،

يجب أن يروا بعضهم ويسألوا على بعضهم مرة في الأسبوع،

يجب أن تسمع عن الله وعن الدار الآخرة ولو مرة واحدة في الأسبوع!

هذا حدٌ أدنى، وهذا الحد الأدنى حتى تستمر على مراد الله في حياتك.

---

[٥] [عن أبي الجعد الضمري:] **مَنْ تركَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاوُنًا بها، طبعَ اللهُ على قلْبِهِ**
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٦١٤٣ • صحيح • أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي (١٣٦٩) واللفظ لها، والترمذي (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥)، وأحمد (١٥٤٩٨) باختلاف يسير

هذا التطبيق حين تأتي وتسمع عن ربك وتجتمع، قد يتعارض مع أشغالك الدنيوية، فتقول:
لكن لدي أشغال!
في حالة وجود هذا التعارض، إذا قدّمت الدنيا على مراد الله، هُنا يبدأ الانحراف،
وهذا هو الذي حدث مع اليهود؛ حدث تعارض بين مصالحهم الشخصية وبين مراد الله، فقدموا مصالحهم الشخصية، قدموا أهواءهم وأموالهم!
"إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ" [التوبة:٣٤]،
قدَّموا المصالح المادية على مراد الله.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا.."
بالرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا حين نأتي للصلاة أن نأتيها بسكينة ووقار،
لكن هذا هو الموضع الوحيد الذي يقول فيه ربنا: "فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ"
قيل: أي إلى الخطبة؛
لوجود خطبة في صلاة الجمعة، لوجود تذكير بالله، فلا بد أن تسعَى لطلب العلم وأن تبذل،
كما أنك تسعى في الدنيا، لا بد أن تسعَى لتتعلم مراد الله عز وجل،
لا بد أن يكون هناك بذل، هناك مجهود، فالسعي يصحبه مجهود.

"فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ"
لم يقل عز وجل (وذروا التجارة)، بل (ذروا البيع)،
فما الفرق بين البيع والتجارة؟

أنت تتاجر لأجل هذه اللحظة: لحظة البيع!
البيع هو بمجرد أن يعطيك أحدهم مالًا وأنت تعطيه سلعة،
فهذه هي اللحظة التي ينتظرها التاجر،
التي يجاهد ويبذل وينفق من أجلها التاجر، انتظارًا لهذه اللحظة.

فكأن الله يخبرنا أن هذه اللحظة التي لا تستغرق ثوانٍ –لحظة البيع– لو تعارضت مع نداء الجمعة؛
فقدِّم النداء وأعْرِضْ عن البيع!
"وَذَرُوا الْبَيْعَ"..
لذلك البيع بعد آذان الجمعة حرام باتفاق العلماء، واختلفوا هل البيع باطل أم لا.

هناك أناس تستمر في البيع بعد آذان الجمعة بلا غضاضة، وهذا لا يصح، إلا لمن عندهم أعذار فقط!
سواء المسافر –على قول كثير من أهل العلم– أو المرأة أو غير ذلك؛ فهؤلاء يمارسون الحياة بعد الآذان،
لكن ما سوى ذلك بعد الأذان يتوقف البيع،
إلا عند أصحاب الضرورات –إذا وجدت ضرورات معينة– والضرورة كذلك تقدر بقدرها،
لكن الناس تمارس حياتها بطريقة عادية!
الله يحرم البيع في هذه اللحظة بعد النداء الأول لصلاة الجمعة، بعد الآذان لصلاة الجمعة:
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ".

ثم بعد ذلك يقول الله عز وجل:
"فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [الجمعة:١٠]

"فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ"
أن نجمع في يوم واحد بين الدين والدنيا هذا أمر غير مستساغ عند اليهود،
فاليهود إذا جاء عندهم يوم السبت فكل اليوم إجازة،
النصارى عندهم يوم الأحد، إذًا فكل اليوم إجازة،
هو لا يستطيع أن يتصور كيف يكون **في يوم واحد عبادة ودنيا معًا؟!**
كيف يكون هذا الأمر الذي حققه الإسلام؟!
فاليهود والنصارى يعجزون عن هذا التصور!
لذلك، اليهود والنصارى لا يعرفون كيف يكون أحدهم في عمله ثم يقوم ليصلي ويعود،
هذا موجود عند المسلمين فقط –الجمع بين الدين والدنيا–.

لذلك العلمانية ما هي؟
قالوا: نحن لا نستطيع أن نجمع، إذًا نفصل الدنيا بمفردها والدين بمفرده، نجعل الدين في المسجد وله يوم، وأما الدنيا فنفعل فيها ما يحلو لنا.

لكن هذه الآية العجيبة تبين أن الله عز وجل اختص الإسلام بهذه الخاصية؛ حتى يكون دينًا يصلح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة..

أن نستطيع أن نجمع بين الدين والدنيا في يوم واحد،

أن تمارس حياتك الدنيوية بعدها تذهب لتصلي ثم ترجع لتمارس حياتك الدنيوية،

فتداخل العبادة في وسط الحياة هذا هو المطلوب!

يجب أن توضع أوقات للصلاة في الجداول في المدارس والجامعات،

يجب أن تكون أوقات جدول الصلاة في وسط الوظائف الحكومية،

يجب أن يُحترم، ولو بالتبادل حتى لا تقف المصالح، فرقة تقوم وفرقة تقعد ثم يتبادلون،

لابد من اعتبار هذا.

"فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ"

ثم إذا صلينا الجمعة

"فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ"

وماذا بعد أن ننتشر في الأرض؟

"وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ"

فالله سيبارك لك لأنك حافظت على الصلاة، ويتبعها:

"وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا"

إياك أن تنسَ الكلام الذي سمعته في الخطبة!

أنت مُقبل على الدنيا بفكر الدين

تذهب لتتاجر بعدما سمعت عن الله وبعدما سمعت عن الدار الآخرة؛

فتكون صادق الوعد، لا تغش، تجمع بين أخلاق العُبَّاد في التجارة

"فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ" [النور:٣٦، ٣٧]

بمعنى أنه يتاجر ويكسب ..

"رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" [النور:٣٧].

إذًا؛

"فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"

فالمقصود هو **تذكر شرع الله**، أي وأنت تتاجر تذكُر شرع الله

"وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا"

اسأل عن مراد الله في كل موقف من مواقف الدنيا

"وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا"

واذكروا نعمة الله أن وفقكم للصلاة قبل هذا العمل،

"وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا"

واذكروا ما سمعتم في الخطبة من وعظ، ومن كلام عن الله وعن الدار الآخرة أثناء السير في الدنيا

"وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

إذًا، يبين الله عز وجل أنك لا بد أن تأتِي وتسمع عن الله، يجب أن تذهب للمسجد، فلن يستقيم لك دينك إلا بهذا.

ثم يبين الله أنه كما وجد صنفًا أعرض عن العمل –الذين هم اليهود–، هناك صنف يعرض عن السماع:

"وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" [الجمعة:١١]

حيث كانت بعض التجارات تأتي أثناء خطبة الجمعة، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بالفعل،

وقيل: كان بعض اليهود أثناء الخطبة يمرون باللهو ويمرون بالتجارة؛ حتى يفتنوا الناس عن الدين..

أحيانًا يكون من السهل أن تأخذ القرار؛ كأن تأتي وتجلس في بيت الإيمان، أو أنك تأتي لتتعلم،

لكن من الصعب أن تستمر!

أن تأخذ قرار الذهاب للمسجد،

أو أن تأخذ قرار تعلُّم الدين،

أو أن تبدأ بحفظ القرآن،

فهذا أحيانًا يكون سهلًا،

لكن الصعب هو: **كيف تحافظ على الثبات أثناء متقلبات الدنيا التي ستمر عليك؟**

هناك كثير من التجارة واللهو، كيف ستثبت؟

كيف ستُتِم الحفظ؟

كيف ستُتِم التعلم؟

كيف ستَفْقَه دين الله عز وجل؟

كيف الثبات؟

"وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" [الجمعة:١١]

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم -كما ذكر أكثر من تابعيّ، كقتادة وغيره -قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الجمعة، وقامت مجموعة كبيرة للهو والتجارة، وبقي مع النبي صلى الله عليه وسلم اثنا عشرة رجلًا فقط!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو تتابعتم حتى لا يَبْقى منكم أَحَدٌ.." -أي: لو قام كل الناس- "لسال بكم الوادي نارًا"[٦] -أي: لكان اشتعل الوادي بهم-!

فكأن الاثني عشر الذين قعدوا هؤلاء هم مَن حفظوا الأمة!

فالذي يمكث بالرغم من متقلبات الدنيا ويثبت، هو سبب الحفظ، هو سبب الأمن للبلاد!

الذي يمكث ليتعلم ثم يعمل هو الذي يَلحَق..

لذلك، فالمخلص الذي يقول: كيف ألحق بالصحابة؟!

يُقال له:

لا بد أن تأتيَ للمسجد،

لا بد أن تجلس وتتعلم،

لا بد أن تجاهد الدنيا حتى تثبت، ثم بعد ذلك تعمل بما تعلمت.

وعَالِمٍ بِعِلْمه لَمْ يَعْمَلَنْ ** مُعَّذَب مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنِ

وأول ثلاثة تسعر بهم النار منهم عالم ولكنه لم يعمل، تعلّم ليقال أنه عالم[٧].

---

[٦] [عن جابر بن عبدالله:] بينما النبيُّ ﷺ يَخطبُ يومَ الجمعةِ وقدِمَتْ عيرٌ إلى المدينةِ فابتدرها أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ **حتى لم يَبْقَ معهُ إلا اثنا عشرَ رجلًا فقال رسولُ اللهِ ﷺ والذي نفسي بيدِه لو تتابعتم حتى لا يَبْقى منكم أَحَدٌ لسالَ بكم الوادي نارًا** فنزلتْ هذهِ الآيةُ {وَإِذا رَأَوا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِمًا} وقال: في الاثنيْ عشرَ الذينَ ثبتوا مع رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكرٍ وعمر
الألباني (١٤٢٠ هـ)، السلسلة الصحيحة ٤١٠/٧ • إسناده صحيح رجاله ثقات لولا أن هشيما مدلس وقد عنعنه لكنه قد صرح بالتحديث عند مسلم إلا أنه لم يذكر حديث الترجمة [أي قوله والذي نفسي بيده ....نارا] فهي شاذة لكن لها شاهد مرسل قوي • أخرجه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣) مختصراً، والترمذي (٣٣١١) باختلاف يسير

[٧] "إن أولَ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ ثلاثةٌ: منهم: الذي طلب العلمَ وقرأ القرآنَ لغيرِ اللهِ **ليقالَ: هو عالِمٌ، وليقالَ له: قارئٌ"**
ابن باز (١٤١٩ هـ)، مجموع فتاوى ابن باز ٢/٣٠٧ • صحيح

إذًا، كيف نلحق بالصحابة؟

كيف نطبق قول الله عز وجل: "وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ" [الجمعة:٣] ؟

كيف نلحق بالصحابة؟

عليك أن تجلس لتتعلم ثم تجاهد لتعمل.

الملخص:

أن تجلس وتجاهد، أن تجلس لتتعلم، ثم تجاهد لتعمل، هذه المعادلة –ببساطة– تخرجنا من مشابهة اليهود، تخرجنا من هذا الوصف المذموم الذي ذم الله عز وجل به اليهود: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [الجمعة:٥]

أسأل الله عز وجل أن يفقهنا في الدين..

اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل،

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا،

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا،

وفّقنا لفعل كل ما تحب وترضى

اللهم وفقنا لفعل كل ما تحب وترضى، اللهم وفقنا لفعل كل ما تحب وترضى

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا،

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك، وأقم الصلاة.